**برنامج [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] - الحلقة(18)**
**ولادة القائم من آل محمد صلوات الله عليهم – الجزء(15)**
**الاثنين: 19 شهر رمضان 1439 - الموافق: 2018/6/4**

✤ هذهِ هي الحلقةُ الـ(18) مِن برنامجنا [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] ولازال الحديثُ مُتواصلاً تحت نفس العُنوان: حديثُ الولادة (ولادةُ القائم مِن آل مُحمّد "صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين"). في الحلقةِ الماضيةِ أتممتُ كلامي في الصُورةِ الخامسةِ من صُور الشاشة الثالثة.. بقيتْ عندي صُورةٌ واحدة وهي الأخيرة من صُور الشاشة الثالثة وهي (شاشة الأُسرة)

❖ **الصورة السادسة: زيارةُ السيّدة نرجس** (وأعني بهذا العنوان: نصّ زيارتها المُتوفّرة في كُتب الأدعيةِ والمزارات).

● الذوقُ العام بين علمائنا ومراجعنا (جيلُ المراجع المُعاصرين والذين سَبَقوهم) الذوقُ العام والرأي الشائع بينهم هُو أنّ هذا النصّ (أعني نصّ زيارة السيّدة نرجس) هو نصٌّ ضعيف بحسب قذارات علم الرجال التي يستعملونها. وبالتالي كُلّ شيء بين أيدينا هو ضعيف.. فوثيقةُ السيّدة نرجس ضعيفةٌ، ووثيقةُ السيّدة حكيمة ضعيفةٌ، ونصُّ زيارة السيّدة نرجس ضعيف أيضاً.. وهكذا.
بالنسبة لي لا أُبالي بأقوال عُلمائنا ومراجعنا وأُلقي بها جَانباً لِمُنافرتها لِمَنطق الكتاب والعِترة.
وبالنسبة لي أيضاً فَإنّ نصَّ زيارة السيّدة نرجس يَنسجمُ انسجاماً كامِلاً معَ نُصوصِ زياراتهم ومعَ الوثائق المُتقدّمةِ الذكر.. ولِذا لا أُبالي بأقوال علمائنا ومراجعنا في تضعيف هذا النصّ.. فهذا النصّ بالنسبة لي وثيقةٌ واضحةٌ صريحة وسأُبيّن لكم ذلك.

● حين نتعامل مع النُصوص علينا أن نعرفَ أولاً تأريخ هذا النصّ.. هذه القضيّةُ مُهمّةٌ جدّاً لِدراسة النصوص.. هذا هو أسلوبُ أهل البيت، فهُم يُرجعوننا إلى النُصوص.. هذا هو أُسلوب لحن القول، أسلوب المعاريض، هذا هو أُسلوب العَرضِ على أصول الكتاب وأُصول الفِكْر عند العترة الطاهرة، هذا هو أسلوبُ الفصاحةِ والبلاغة حينما نُقارنُ بين سِماتِ الفصاحةِ والبلاغةِ في هذا النصّ، مَع سِماتِ الفصاحة والبلاغة التي نَعرفها عن آل مُحمّد.
هذا هو منهجُ لحن القول في دراسة النُصوص بعيداً عن قَذَارات النَواصب وأعداء أهل البيت التي يتمسّكُ بها أكثرُ مَراجعُنا وعُلمائنا.. فهذا الأسلوب يَختلفُ اختلافاً كاملاً عن أُسلوب مَراجعنا في دِراسة النصوص.
وبما أنّ هذهِ القواعد وهذهِ القوانين التي يتمسّك بها أكثرُ مَراجعنا جيئ بها مِن أعداء مُحمّدٍ وآل مُحمّد فأنا لا أعبأُ بها إطلاقاً.. وأنتم أحرار.. انظروا إلى الجهة الأولى، وانظروا إلى الجهة الثانية، وحكّموا عُقولكم وذَوقكم ووجدانكم وقارنوا بين هذهِ المَعلومات ومَيّزوا الحقائقَ ودَقّقوا النظَرَ في كُلّ الشاشات.. وانتظروني إلى آخر شاشةٍ وبعد ذلك استحصلوا الصورة الكاملة مع التفاصيل.
• كُلّ مُعطىً مِن المُعطيات التي وضعتُها في صُوَر هذهِ الشاشات إنّني لا أُريد أن أعتمد عليها لِوحدها، وإنّما هذه المُعطيات يشرح بعضها بعضاً ويُوضّح بعضها بعضاً.. حتّى تتكامل الصُورة النهائيّة.

✤ كما أشرتُ قبل قليل حين نتعاملُ مع النُصوص عَلينا أن نَعرفَ أولاً تأريخَ النصّ.. هذهِ القضيّةُ مُهمّةٌ جدّاً لِدراسة النصوص
(وقفة أذكرُ لكم فيها إلى المَصادر التي ذكرتْ هَذهِ الزيارة للسيّدة نرجس "صلواتُ الله وسلامه عليها" وأُبيّن ما هو أهمّ هذهِ المصادر، وما هو أقدمها.. ولِماذا كُتُب السيّد رضي الدين علي ابن طاووس مُقدّمة على غَيرها مِن كُتب الأدعية والزيارات برغم أنّها ليستْ هي المصادر الأقدم؟!)

● ديننا يبدأ من هذا المعلم (مَعْلم الولادة).. وُلِد الإمام فهو موجودٌ، شاهدٌ، قائمٌ.. فهذا هو الدين.
إذا كان الإمامُ ليس مولوداً.. فإذاً لا إمام، وإذاً لا دين، وانتهينا.. وكُلّ الكلام سيكونُ هُراءً مِن أوّلِهِ إلى آخره.
• أئمتنا أمرونا أن نأخذ ديننا بطريقةٍ تحتاجُ إلى صَبْرٍ وصُمود.. كما قال الإمام الهادي لِلّذين سألاه عمّن يأخذانِ معالمَ دينهما.. فالإمام أجابهُما وقال:
(**اصمدا في دِينكما على كُلّ مَتينٍ في حُبّنا وكلّ كثير القَدَم في أمرنا فإنّهما كافوكما إنْ شاء الله تعالى**..)
فمَن يُريد أن يبحث عن مَعالم دينهِ وأن يصِلَ إليها بطريقٍ واضحٍ بيّن وبأسلوبٍ مُشرق عليه أن يصبر.. فنحنُ بحاجةٍ إلى معرفةِ تأريخ النصّ (وقد بيّنتُ لكم تأريخ النصّ في الوقفةِ السابقة) وبِحاجة أيضاً إلى قراءة النصّ.. وبعد ذلك نُدقّق النظر في انسجام هذا النصّ مع منظومة الأدعية والزيارات، ونبحث أيضاً في انسجام هذا النصّ مع الوثائق المُتوفّرة بين أيدينا.. خُصوصاً وثيقة السيّدة نرجس (وثيقة الزواج) ووثيقة السيّدة حكيمة (وثيقة الولادة).. وبعد ذلك نبحث عن الإنسجام فيما بين هذا النصّ وبين هذه المنظومةِ المعلوماتيّة التي رتّبتُها بشكل صُوَرٍ في شاشاتٍ مُتعدّدة.. حينئذٍ يتجلّى لنا أنّ هذا النصّ هو مِن نُصوصهم "صلواتُ الله وسلامهُ عليهم".
ولِهذا فإنّني لا أعبأُ بِما يقولهُ مَراجعنا وعُلماؤنا لأنّني لا أعبأُ بالمَنهج الذي هُم عليه ولا أشتريهِ بِفلسٍ مَمسوح؛ لأنّ هذا المَنهج لا يمتّ إلى آل مُحمّدٍ بِصلةٍ أبداً.. وسأُبيّن لكم في الحلقات القادمة وبشكلٍ مُوجز ومُختصر وواضح مَنهج مُحمّدٍ وآل مُحمّد في التعامل مع النصوص، حتّى تكون الأمور واضحةً لديكم، وحينما تُحكّمون عقولكم إنّما تُحكّمون عقولكم بأنفسكم مِن دُون تأثيرٍ منّي عليكم ومِن دون تأثيرٍ مِن أيّ شخصٍ.. هكذا تُدرَكُ العقائد، وإلّا فما أنتم على عقيدةٍ صحيحة.
• بالنسبة لي: حينما يأتي علماؤنا ومَراجعُنا ويُدمّرون حديثَ أهل البيت بعلم الرجال الناصبي، ويُنكرون ويُضعّفون الأدعية والزيارات، فهذا دَليلٌ قويٌ على صحّة هذه النصوص في نظري؛ لأنّهم قد طبّقوا مَنهجاً ناصبيّاً في التعامل مع حديث أهل البيت، والقاعدة المَعصوميّة تقول: أنّ الصواب في خِلاف النواصب. فالمنهج الناصبي نتوقّع منهُ بشكلٍ مُباشر أن يقودنا إلى نتائج مُنافرة ومُضادّة لِذوق مُحمّدٍ وآل مُحمّد.

أنا لا أعبأ بأقوال علمائنا ومراجعنا، ولكنّي أقول: إنّني أجعلُ مِن أقوال عُلمائنا ومَراجعنا في تضعيف النصوص أجعلُ منها قرينةً على صِحّة هذه النصوص، لأنّهم يعتمدون منهجاً ناصبيّاً.
علماً أنّني لا أتحدّثُ عن الجميع، ولكنّ الأعم الأغلب هُم هكذا يتعاملون مع حديثِ أهل البيت بهذا المنهج الناصبي الأعوج..!

● الأئمة يُريدون مِنّا أن ندرسَ النصّ مِن الجهة التأريخيّة، ولِذا عندنا قاعدة مِن القواعد التي وَضَعها لنا الأئمة وهي: أن نعملَ بقول المُتأخّر.. إذا لم نَعرف تأريخ النصّ فكيف نستطيع أن نعملَ بهذهِ القاعدة؟! فنحنُ بحاجةٍ لِمَعرفة تأريخ النصّ، وبعد ذلك نَحنُ بِحاجةٍ إلى دراسة نفْس النصّ.

● هذا النصّ الذي بين أيدينا - وهو زيارةُ السيّدة نرجس - إذا أردنا أن نَدرس مُفرداتهِ، سنجد أنّه يتناسب مع النصوص التي صدرتْ في عصْر الغَيبةِ الصُغرى.. ونُصوص عصْر الغَيبةِ الصُغرى لا تختلفُ اختلافاً كبيراً عن النُصوص التي صدرتْ مَن رسول الله إلى زمان الحُجّة بن الحسن.. ولكن قد نجد طَعْماً مُعيّناً مَثلاً في الزياراتِ الحُسينيّة، وهي في الأعمّ الأغلب رواياتٌ وردتنا عن إمامنا الصادق.
فإذا أردنا أن نَقومَ بعمليّة مُقارنة فإنّنا نجد لتلك الزيارات مَذاقاً ونجد للزيارات التي صَدرتْ في عَصْر الغَيبةِ الصُغرى مَذاقاً آخر، حتّى على مُستوى الزيارات الحُسينيّة.. فزيارةُ الناحيّة المُقدّسة هي زيارةٌ لسيّد الشهداء في يوم عاشوراء، لكنّها تتميّزُ بِمذاقٍ وبطَعَمٍ يختلفُ عن الزيارات الصادقيّة لسيّد الشهداء.

✸ وقفة عند نصّ زيارة أمّ القائم "صلوات الله وسلامه عليها" في مفاتيح الجنان:
(**السلامُ على رسول الله صلّى اللهُ عليهِ وآله الصادق الأمين، السلامُ على مَولانا أمير المُؤمنين، السلامُ على الأئمةِ الطاهرين الحُجَج المَيامين، السلامُ على والدةِ الإمام والمُودَعةِ أسرارَ المَلِك العلّام، والحاملةِ لأشرفِ الأنام، السلامُ عليكِ أيّتُها الصدّيقةُ المَرضيّة، السلامُ عليكِ يا شبيهةَ أُمّ مُوسى وابنةَ حواري عيسى، السلامُ عليكِ أيّتُها التقيّة النقيّة، السلامُ عليكِ أيّتُها الرضيّة المَرضيّة، السلامُ عليكِ أيّتُها المَنعوتةُ في الإنجيل، المَخطوبةُ مِن رُوح الله الأمين، ومَن رَغِبَ في وُصْلَتِها مُحمّد سيّد المُرسلين، والمُستودَعةُ أسرارِ ربّ العالمين، السلامُ عليكِ وعلى آبائك الحواريّين، السلامُ عليكِ وعلى بَعلك وولدك، السلامُ عليكِ وعلى رُوحكِ وبدنكِ الطاهر، أشهدُ أنّكِ أحسنتِ الكفالة، وأدّيتِ الأمانة، واجتهدتِ في مَرضاتِ الله، وصَبرتِ في ذاتِ الله، وحَفِظتِ سِرّ الله، وحَملتِ وليَّ الله، وبالغتِ في حِفظ حُجّة الله، ورغبتِ في وصْلة أبناء رسول الله، عارفةً بحقّهم، مُؤمنةً بصدقهم، مُعترفةً بمَنزلتهم، مُستبصرةً بأمرهم، مُشفقةً عليهم، مُؤْثرةً هواهم، وأشهدُ أنّكِ مَضيتِ على بصيرةٍ مِن أمركِ، مُقتديةً بالصالحين، راضيةً مرضيّة، تقيّةً نقيّة زكيّة، فرضي اللهُ عنكِ وأرضاكِ، وجعَلَ الجنّة منزلكِ ومأواكِ فلقد أولاكِ مِن الخيرات ما أولاكِ، وأعطاكِ مِن الشرف ما بهِ أغناكِ، فهنّاك اللهُ بما منَحَكِ مِن الكرامة وأمراكِ.**
• ثُمَّ ترفع رأسك وتقول:
(**اَللّهُمّ إيّاكَ اعتمدتُ، ولرضاكَ طلبتُ، وبأوليائكَ إليك توسّلتُ، وعلى غُفرانكَ وحلمكَ اتّكلتُ، وبكَ اعْتصمتُ، وبقَبر أُمّ وليكَ لُذتُ، فَصلّ على مُحمّدٍ وآل مُحمّد وانفعني بزيارتها، وثبّتني على مَحبّتها، ولا تَحرمني شفاعتها، وشفاعةِ وَلَدها، وارزقني مُرافقتِها، واحْشرني مَعَها ومع وَلَدها كما وفّقتني لزيارةِ وَلَدها وزيارتها، اَللّهُمَّ إنّي أتوجّه إليك بالأئمةِ الطاهرين، وأتوسّل إليك بالحُجَج الميامين مِن آل طه ويس، أن تُصلّي على مُحمّدٍ وآل مُحمّد الطيّبين، وأن تجعلني مِن المُطمئنّين الفائزين الفرحين المُستبشرين، الذين لا خوفٌ عليهم ولا هُم يَحزنون واجعلني مِمَّن قبلت سعيه، ويسّرتَ أمره، وكشفتَ ضُرّه، وآمنتَ خوفَهُ، اَللّهُمَّ بحقّ مُحمّد وآلِ مُحمَّد، صلّ على مُحمّدٍ وآل مُحمّد ولا تجعلهُ آخر العهد مِن زيارتي إيّاها، وارزقني العَودَ إليها أبداً ما أبقيتني، وإذا توفّيتني فاحشرني في زُمرتها، وادخلني في شفاعةِ ولدها وشفاعتها، واغفرْ لي ولوالديَّ وللمُؤمنين والمُؤمنات، وآتنا في الدُنيا حَسَنةً وفي الآخرة حَسَنة وقِنا برحمتكَ عذاب النار، والسلامُ عليكم يا ساداتي ورحمة الله وبركاته).**
وهذا النصّ هُو نفسهُ مَوجودٌ في مِصباح الزائر للسيّد ابن طاووس، وهو نفسهٌ موجود في كتاب [المَزار الكبير] لابن المشهدي، وهو نفسهُ رواه الشيخ المجلسي في البحار وأثبتَ جُملةً مِن مصادره (أثبتَ مزار الشهيد الأوّل، والمصدر المُهمّ: مزار الشيخ المفيد الذي توفي سنة 413 هـ).
هذا النصّ هو زيارةٌ لأمّ آخر إمامٍ من الأئمة الإثني عشر.. وهو نصٌّ يلتقي كثيراً مع نَصّ آخر وهو نصُّ زيارة أُمّ أوّل إمامٍ مِن الأئمة الإثني عَشَر وهي السيّدة فاطمة بنت أسد والدة أمير المؤمنين.
فأميرُ المؤمنين هو أوّل إمامٍ مِن الأئمةِ الإثني عَشَر، وهو المعصوم الثاني في مَنظومةِ المَعصومين الأربعةَ عشر، وهُو نَفْسُ مُحمّدٍ بنصّ القُرآن الكريم.
وهذهِ الزيارة أيضاً جَاءتْ في مِصباح الزائر في صفحة 58، 59.. وجاء أيضاً ذكرُ هذه الزيارة في المَزار الكبير في الصفحة 92 وما بعدها.. وجاءتْ أيضاً نفس الزيارة في [بحار الأنوار: ج97] في صفحة 217 - 218 في الحديث رقم 17.. ومِن جُملة المصادر التي ذكرها الشيخ المجلسي لهذه الزيارة: (مِصباح الزائر، ومَزار الشهيد الأوّل، ومَزار الشيخ المفيد)
• هُناك الكثير مِن المَطالب واضحة ومُتجلّية في هاتين الزيارتين بنحوٍ واحد.. والقانون واضح عندنا:
أنّ ما كان لأوّلهم فهو لآخرهم، وما كان لآخرهم فهو لأوّلهم.
ومِن جُملة ما كان لأوّلهم أو ما كان لآخرهم: شُؤوناتِ ولادتهم، ومِن جُملة شُؤوناتِ ولادتهم هذا القانون: أشهدُ أنّك كُنتَ نُوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المُطهّرة.
فهذا القانون يجري على أوّلهم ويجري على آخرهم.. ومِن هُنا المَضامين واحدة مُتشابهة فيما بين الزيارتين (زيارةٌ لأمّ أوّل الأئمة الإثني عشر، وزيارةٌ لأمّ آخر الأئمة الإثني عشر) فما كان لأوّلهم فهو لآخرهم، وما كان لآخرهم فهو لأوّلهم.. وهَذا جُزءٌ مِن تجلّيات الهندسة الخاصّة والنَظْم الفائق في منظومة الأدعية والزيارات الشريفة.

✸ نصّ زيارة السيّدة فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين "صلواتُ الله عليه وعليها":

**(السلامُ على نبيّ الله، السلامُ على رسول الله، السلامُ على مُحمّد سيّد المُرسلين، السلامُ على مُحمّد سيّد الأوّلين، السلامُ على مُحمّد سيّد الآخرين، السلامُ على مَن بعَثَهُ اللهُ رحمةً للعالمين، السلامُ عليكَ أيُّها النبيّ ورحمةُ الله وبركاته، السلامُ على فاطمة بنت أسد الهاشميّة، السلامُ عليكِ أيّتُها الصدّيقة المرضيّة، السلامُ عليكِ أيّتُها التقيّة النقيّة، السلامُ عليكِ أيتها الكريمة الرضيّة، السلامُ عليكِ يا كافلةَ مُحمّدٍ خاتم النبيّين، السلامُ عليكِ يا والدةَ سيّد الوصيّين، السلامُ عليكِ يا مَن ظهرتْ شفقتُها على رسول اللهِ خاتمِ النبيّين، السلامُ عليك يا مَن تربيتُها لولي الله الأمين، السلامُ عليكِ وعلى رُوحكِ وبدنكِ الطاهر، السلامُ عليكِ وعلى ولدكِ ورحمة الله وبركاته،**

**أشهدُ أنّكِ أحسنتِ الكفالة، وأدّيت الأمانة، واجتهدتِ في مَرضاتِ الله، وبالغتِ في حِفظِ رسول الله، عارفةً بحقّه، مُؤمنةً بصدقه، مُعترفةً بنبوّته، مُستبصرةً بنعمته، كافلةً بتربيته، مُشفقةً على نفسه، واقفةً على خدمته، مُختارة رضاه، وأشهدُ أنّكِ مَضيتِ على الإيمان والتمسّك بأشرفِ الأديان، راضية مرضيّة طاهرة زكيّة تقيّة نقيّة، فرضيَ الله عنكِ وأرضاكِ، وجعلَ الجنّةَ منزلكِ ومأواكِ، اللّهُمّ صلّ على مُحمّد وآل مُحمّد وانفعني بزيارتها، وثبّتني على مَحبّتها، ولا تحرمني شفاعتها وشفاعة الأئمة مِن ذُرّيتها، وارزقني مُرافقتها، واحشرني معها ومَع أولادها الطاهرين، اللّهُمّ لا تجعلهُ آخرَ العَهد مِن زيارتي إيّاها، وارزقني العَود إليها أبداً ما أبقيتني، وإذا توفيّتني فاحشرني في زُمرتها، وادخلني في شفاعتها، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللّهُمَّ بحقّها عندك ومَنزلتها لديك، اغفرْ لي ولوالديَّ ولجميع المُؤمنين والمُؤمنات، وآتنا في الدُنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنة وقِنا برحمتك عذاب النار).**

● **أحاول الوقوف على بعض المفاصل في هذا النصّ الشريف لزيارة السيّدة نرجس:**

• الزيارة تبدأ بهذه العبارات: **(السلامُ على رسول الله صلّى اللهُ عليهِ وآله الصادق الأمين، السلامُ على مَولانا أمير المُؤمنين، السلامُ على الأئمةِ الطاهرين الحُجَج المَيامين)**

نحنُ في أجوائهم "صلواتُ الله وسلامهُ عليهم".. والبدايةُ هذهِ هي براعةُ استهلالٍ واضحة في هذا النصّ الموجز.

براعةُ الاستهلال في أنّ هذه التي سوف أزورها هي جُزءٌ لا يتجزّأُ مِن هذا الواقع المقدّس.. فهذه العناوين هي رموزٌ لواقعٍ مُقدّس، إنّهُ واقعُ مُحمّدٍ وآل مُحمّد.. هذا هو المُ العِصمةِ والطهارة، ولِذا الزيارةُ تبدأ بهذه العناوين وتبدأ بهذه الرموز لتقول لنا إنّنا في المحضر المُقدّس.. فاخلعْ نعليكَ أيّها الزائر، اخلعْ كُلّ شيء، اخلع ما يدور في قلبكِ وفُؤادك، فإنّك في الوادي المُقدّس.. هذا هو الوادي المُقدّس.

نحنُ دخلنا في رحاب الوادي المُقدّس كي نزور شخصيّةً هي جُزءٌ لا يتجزّأ من هذا الوادي المُقدّس.. جُزءٌ مَنّ عليهِ مُحمّدٌ المُصطفى بِلُطفهِ قبل هذه الدنيا وفي هذه الدُنيا وأضافهُ إلى هذا الوادي الذي يفوحُ عِزّاً وشَرَفاً وكَرامَةً ومَجداً وعَظَمة.. إنّه وادي أجمل الجمال **(اللّهمّ إنّي أسألكَ مِن جمالك بأجمله)** هذا هو نفس الوادي الذي ترمز إليه هذه الأسماء وتُشير إليه مِن بعيد ومِن قريب.

فهذه المعاني **(يا مَن هو قريبٌ في بُعدهِ، ويا مَن هو بعيدٌ في قُربه)** هذه المعاني تتجلّى في أكرم الآيات **(اللّهُمّ إنّي أسألكَ مِن آياتِك بأكرمها)** فإنّ أكرم الآيات تتقلّب بين أظهرنا ولكنّ هذهِ العقول لا تتمكّن مِن إدراكِ ما يدور في ساحةِ فنائها فضلاً عن إدراكها هي بنفسها.

فتبدأ الزيارة تُشير إلى أنّ المَزور (وهي السيّدة نرجس) هي جُزءٌ مِن هذا العالم المُطهّر.

• ثُمّ تقول الزيارة:

**(السلامُ على والدةِ الإمام والمُودَعةِ أسرارَ المَلِك العلّام، والحاملةِ لأشرفِ الأنام)** هذا مِفْصَلٌ مُهمّ في الزيارة.. وهذا المِفْصل أتركُهُ ليوم غد.

هذا مِفصل ومفتاحٌ مِن مَفاتيح فَهْم الزيارة الشريفة.

مثلما حدَّثتكم عن مَنظومة الأدعيّة والزيارات، فإنّ هذهِ المنظومة لها هندستُها، ولها مَفاتيحها، ولها مَفاصلها، ولها مَداخلها ومَخارجها، ولها أبوابها.

• ثُمّ تقول الزيارة: **(السلامُ عليكِ أيّتُها الصدّيقةُ المَرضيّة)** هذه الصِفة "الصدّيقة" سيتّضحُ معناها حينما نقِفُ على معنى هذه العبارة **(والمُودَعةِ أسرارَ المَلِك العلّام)**. الصدّيقيّة مَرتبةٌ درجاتهُا كثيرة.. المَرتبةُ الأصلُ فيها هي مَرتبةُ عليّ وفاطمة "صلواتُ الله وسلامه عليهما".. فعليٌّ هو الصدّيق الأكبر وفاطمةُ هي الصدّيقة الكُبرى ومِن دُون هذهِ المَرتبة هُناك مَراتبٌ لا تُعدُّ ولا تُحصى.

مَرّةً تَتجلّى المَرتبةُ بكلّيتها في هذا العبد أو في تلكَ الأَمَة من عبيده سُبحانهُ وتعالى ومِن إمائهِ .. ومرّة يتجلّى بعضُها بحسب الأوعية.. مثلما قال سيّد الأوصياء لكُميل بن زياد: **(يا كُميل.. القلوب أوعية وخَيرها أوعاها)**.. فوعائيّةُ القلوب تختلفُ مِن قلبٍ إلى قلب.. ومِن هنا تختلفُ مَراتب الصدّيقيّن والصدّيقات.

• بحسب ذَوق أهل البيت "صلواتُ الله عليهم" فإنّ هذهِ المُصطلحات (صِدّيقٌ)، (صدّيقة) هذه المُصطلحات خَاصّةٌ بهم فقط "صلواتُ الله عليهم" وتُمنح لِغَيرهم تشريفاً وتكريماً.. جُوداً وكَرَماً وفضلاً منهم.

الزيارةُ هُنا تُخاطِبُ والدة إمام زماننا أنّها "صِدّيقة".. والمَرضيّة صِفةٌ أُخرى تُسبَغُ على مَرتبة صدّيقيّتها "صلواتُ الله عليها"

• حين يكون الإنسان في "مَرتبة الصدّيقيّة" فإنّ أحكامَهُ، شؤونه تختلف.. وهذا هو الذي أردتُ أن أُشير إليه. فأنا لا أُريد أن أدخُل في تفاصيل مَعنى الصدّيقيّة بحسب ما جاء في آيات الكتاب أو في كلمات المعصومين.. فهذا أمرٌ يطول الحديث فيه.. لكنّني أردتُ أن أصِل إلى هذه النُقطة وهي: أنّ الإنسان حينما يكون في هذه المَرتبة "مَرتبة الصدّيقيّة" (ذكراً كان أم أُنثى) فلهُ شؤونٌ وأحكامٌ خاصّة على مُستوى التكوين وعلى مُستوى التشريع.

● وقفة عند حديث الإمام الصادق "عليه السلام" مع المُفضّل بن عُمر في [الكافي الشريف: ج1] - بابُ مولدُ الزهراء فاطمة (الحديث رقم 4)

**(عن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلتُ لأبي عبد الله "عليه السلام": مَن غسّل فاطمة عليها السلام؟ قال: ذاكَ أميرُ المؤمنين "عليه السلام". وكأنّي استعظمتُ ذلك مِن قوله، فقال: كأنَّكَ ضِقْتَ بما أخبرتك به؟ قال: فقلتُ: قد كان ذاكَ جعلتُ فداك، قال: فقال: لا تَضيقنَّ؛ فَإنَّها صدّيقة، ولم يكن يغسّلها إلّا صدّيق، أما علمتَ أنَّ مريم لم يُغسّلها إلّا عيسى)**. الصدّيقةُ حُكمها خاصّ.. لا يُغسّلها إلّا صدّيق.

هذه الرواية أشارتْ إشارة مُوجزة وسريعة.. أمّا إذا أردنا أن نذهبَ إلى تَفاصيل الآياتِ والروايات فَإنّها تُوصلنا إلى هذهِ النتيجة، وهي: أنّ مَن كان في مَرتبة الصدّيقيّة فإنّ لهُ سِماتٌ وخُصوصيّاتٌ ولهُ أحكامٌ وشُؤوناتٌ على المُستوى التكويني وعلى المُستوى التشريعي.
على المُستوى التكويني فإنّنا سنتحدّثُ عن الطهارة والتطهُّر التكويني، وقد أتحدّث عن هذا الموضوع في حلقة يوم غد.
• قول الزيارة (**السلامُ عليكِ يا شبيهةَ أُمّ مُوسى وابنةَ حواري عيسى**) مَرّ علينا في الوثيقة الأولى (وثيقةُ السيّدة نرجس) التي هي وثيقة الزواج، حينما أخبرتْ بِشْر النخّاس مِن أنّ أُمّها مِن أحفاد شمعون الصفا.
هُناك تطابق واضح بين ما جاء في هذا النصّ وبين ما جاء في وثيقة الزواج.. معالمُ التركيب المَعصومي في النصّ واضحة.
ذوق منظومة الأدعية والزيارات المعصومي واضح في هذا النصّ.. فهذا النصّ يُوثّقُ تلك الوثيقة.. ولا أعبأ بتضعيف المراجع لهذا النصّ أو لتلك الوثيقة.. فنَصُّ الزيارة هذا يوثّق نفسه بنفسه.
• قول الزيارة (**وابنةَ حواري عيسى**) أمّا كونها مِن بنات الحواريّين فقد مَرّ الكلام في وثيقة السيّدة نَرجس، وأمّا أنّها شَبيهةُ أمّ مُوسى فقد مرَّ هذا في وثيقة السيّدة حكيمة حين تقول السيّدة حكيمة في الرواية:
(**فجلستُ عندهُ إلى وقتِ غُروب الشمس، فصحتُ بالجارية وقُلت: ناوليني ثيابي لأنصرف فقال "عليه السلام":
لا يا عمّتا.. بيّتي اللّيلة عندنا فإنّه سيُولد اللّيلة المولودُ الكريم على الله عزَّ وجلَّ الّذي يُحيي اللهُ عزَّ وجلَّ به الأرض بعد مَوتها، فقلتُ: ممّن يا سيدي ولستُ أرى بنرجس شيئاً مِن أثر الحَبَل؟ فقال: مِن نرجس لا مِن غَيرها، قالتْ: فوثبتُ إليها فقلَّبتُها ظَهْراً لبطن فلم أرَ بها أثرَ حَبَل، فعدتُ إليه "عليه السلام" فأخبرتهُ بما فعلتُ، فتبسّم ثمَّ قال لي: إذا كان وقتُ الفجر يظهرُ لكِ بها الحَبَل؛ لأنَّ مَثَلَها مَثَلُ أمِّ موسى لم يظهرْ بها الحَبَل ولم يعلم بها أحدٌ إلى وقتِ ولادتها، لأنَّ فرعون كان يشقُّ بُطونَ الحُبالى في طَلَب موسى، وهذا** - المولود - **نظيرُ موسى**).
ألا تُلاحظون الانسجامَ والتعانق فيما بين هذا النصّ وفيما تقدّم مِن وثائق؟!
● مقطع مِن حديث طَويل مُفصّل عن إمامنا الصادق في كتاب [كمال الدين وتمام النعمة] للشيخ الصدوق.. والإمام يُحدّث مَجموعةً مِن أصحابِه:
(**أمّا مولد مُوسى فإنَّ فرعون لمّا وقَفَ على أنَّ زوال مُلكهِ على يدهِ أمَرَ باحضار الكَهَنة فدلّوهُ على نسبهِ وإنّه يكونَ مِن بني إسرائيل، ولم يزلْ يأمرُ أصحابَهُ بشقِّ بُطون الحوامل مِن نساء بني إسرائيل حتّى قَتَل في طلبهِ نَيّفاً وعشرين ألف مولود، وتعذَّر عليه الوصول إلى قتل موسى بحفظ الله تبارك وتعالى إيّاه، وكذلك بنو أُميّة وبنو العبّاس لمّا وقفوا على أنَّ زوال مُلْكهم ومُلْك الأُمراء والجبابرة منهم على يد القائم منّا ناصبونا العداوة، ووضعوا سُيوفهم في قتل آل الرسول صلّى الله عليه وآله وإبادة نَسْلهِ طَمَعاً منهم في الوُصول إلى قتل القائم، ويأبى اللهُ عزَّ وجلَّ أن يكشِفَ أمرهُ لواحدٍ مِن الظلمة إلّا أن يتمَّ نوره ولو كره المشركون**)
الحُسين قُتِل في هَذا الطريق.. فهل يُتعجّب بعد ذلك مِن الأُسلوب الذي تمَّتْ عمليّة الزواج وكيف انتقلتْ بنتُ القياصرة إلى سامرّاء؟! القضيّة معقدّة جدّاً وتحتاج إلى فَهْمٍ دقيق.. لا بهذهِ الأساليب الهزيلة البائسة السخيفة التي يعمل بها عُلماؤنا ومراجعنا وجاءونا بها مِن النواصب.
• قول الإمام: (**ووضعوا سُيوفهم في قتل آل الرسول وإبادة نَسْلهِ طَمَعاً منهم في الوُصول إلى قتل القائم**) هذهِ القضّية بدأتْ مُنذ قتل فاطمة "صلوات الله عليها".
• قول الإمام العسكري للسيّدة حكيمة: (**لأنَّ مَثَلَها مَثَلُ أمِّ موسى لم يظهرْ بها الحَبَل**) السيّدة مريم أيضاً لم يظهر بها الحَبَل، وإلّا لو ظهر بها الحَبَل وأحبار اليهود رأوا ذلك لفعلوا ما فعلوا.. ولكنّه لم يظهر عليها أثرُ الحَبَل، وحين قَربتْ ولادتها وظَهَر بها الحَبَل خرجتْ مِن المعبد وذهبتْ إلى مكانٍ قصّي، كما يقول إمامُنا صادق العِترة "صلواتُ الله عليه" في [الكافي الشريف: ج8] يقول:
(**إنّ مريم "عليها السلام" حَملتْ بعيسى "عليه السلام" تسعَ ساعات كلُّ ساعةٍ شهرا**).
وقد مرّ علينا في وثيقة السيّدة حكيمة أنّ الإمام العسكري يقول: (**إنَّ أولاد الأنبياء والأصياء إذا كانوا أئمّة ينشؤون بخلاف ما ينشأُ غيرهم، وإنَّ الصبيَّ منّا إذا كان أتى عليه شهرٌ كان كمن أتى عليه سنّة...**) القوانين هي القوانين.
كما قلت قبل قليل: مرتبة "الصدّيقيّة" هذهِ المَرتبة لها شُؤوناتها ومِيزاتها التكوينيّة والتشريعيّة، وحِين حلّتْ السيّدة نرجس في بيت الإمام العسكري حلّتْ في هذه المَرتبة لَمّا وطئت أقدامُها بيت الإمام الهادي.. لقد ارتقتْ مُرتقاً عالياً.. هذه هي صدّيقة القياصرة، صدّيقة آل شمعون.. إنّها "مليكا" والدةُ القائم.. الصدّيقةُ التي ارتقتْ إلى مَراتب الصدّيقيّة العاليّة حِين لامستْ أقدامها تراب بيت إمامنا الهادي "صلواتُ الله عليه".. مِن هُنا بدأت رحلتها مع الصدّيقيّة، ولِذلك نُخاطبها في زيارتها الشريفة: (**السلامُ عليكِ أيّتُها الصدّيقةُ المَرضيّة**) هذه شبيهةُ أمّ مُوسى، وابنة حواريي عيسى.
• إلى أن تقول وثيقة السيّدة حكيمة لَمّا حفّتْ الملائكة بشكلِ الأطيار حول إمامنا بعد ولادتهِ تقول السيّدة حكيمة:
(**فرددتُهُ إلى أبي مُحمّد "عليه السلام" والطيرُ تُرفرفُ على رأسه، فصاحَ بطيرٍ منها فقال لهُ: احملهُ واحفظهُ ورُدَّهُ إلينا في كلّ أربعين يَوماً، فتناولهُ الطيرُ وطارَ به في جوِّ السماء وأتبَعَهُ سائرُ الطير، فسمعتُ أبا مُحمّد "عليه السلام" يقول: «استودعُكَ اللهُ الّذي أودعتهُ أُمّ مُوسى موسى» فبكتْ نَرجس فقال لها: اسكُتي فإنَّ الرضاعَ مُحرَّم عليه إلّا مِن ثديكِ وسيُعادُ إليكِ كما رُدَّ مُوسى إلى أُمّه وذلكَ قَولُ الله عزَّ وجلَّ: «فرددناهُ إلى أُمّهِ كي تَقرَّ عينها ولا تحزن»**).
• قول الزيارة: (**السلامُ عليكِ أيّتُها المَنعوتةُ في الإنجيل، المخطوبةُ مِن رُوح الله الأمين**)
هذه العبارة " **المخطوبةُ مِن رُوح الله الأمين**" فذلكَ قد جاء في وثيقة السيّدة نرجس حين حدّثتنا عن خُطبة مُحمّدٍ "صلّى الله عليه وآله" لها مِن عيسى المسيح ومِن شمعون الصفا.. أمّا قول الزيارة "**السلامُ عليكِ أيّتُها المَنعوتةُ في الإنجيل**" قطعاً الزيارة تتحدّث عن الإنجيل الأصيل، ولكنّ الإنجيل الذي بين أيدينا الذي يعتقد به النصارى في يومنا هذا نجد فيه شيئاً ربّما يُراد مِنهُ السيّدة نرجس.

• وقفة عند إنجيل النصارى - سِفْر الرؤيا (رؤيا يوحنّا) في الإصحاح الثاني عشر من سِفْر الرؤيا جاء فيه:
**(وظهرتْ آيةٌ عظيمةٌ في السماء: امرأةٌ مُتسربلةٌ بالشمس، والقمرُ تحت رجليها، وعلى رأسها إكليلٌ مِن اثني عشر كوكباً* وهي حُبلى تصرخُ مُتمخّضةً ومُتوجّعةً لِتلِد* وظهرتْ آيةٌ أُخرى في السماء: هو ذا تنينٌ عظيمٌ أحمر، لهُ سبعة رُؤوس وعشرةُ قُرون، وعلى رُؤوسهِ سبعةُ تيجان* وذَنَبهُ يجرُّ ثُلثَ نجوم السماء فطرَحها إلى الأرض. والتنّينُ وقف أمامَ المرأة العتيدة أن تلد، حتّى يبتلعَ ولدها متى ولدت* فولدتْ ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميعَ الأُمم بعصا مِن حديد. واختُطِف ولدُها إلى الله وإلى عرشه)**
• قول رؤيا يُوحّنا: (**واختُطِف ولدُها إلى الله وإلى عرشه**) حَملتهُ الطُيور مِثلما جاءَ في وثيقة السيّدة حكيمة.. حَملتهُ الملائكة، وكان وديعةً عند الذي تُحفَظُ عنده الودائع ولا تضيعُ عنده الودائعُ أبداً.